

الإسلام والويعا
منظومة القيم

• الإسلام والإيمان

• د. محمد شحرور

• الطبعة الأولى - ٨ / ١٩٩٦

• جميع الحقوق محفوظة للناشر

• الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - هاتف : ٣٣٢٠٢٩٩ - ص.ب. ٩٥٠٣ - تلکس : ٤١٢٤١٦

فاکس : ٣٣٣٥٤٢٧

• التوزيع :

قسم التوزيع - الأهالي للنشر والتوزيع

دمشق - هاتف : ٢٢١٣٩٦٢ - ص.ب. ٩٢٢٣ - تلکس : ٤١٢٤١٦

فاکس : ٣٣٣٥٤٢٧

الإسلام والوعي منظومة القيم

الدكتور
محمد شحرور

إهداء

إلى والدتي العزيزة وبي .
إلى والدتي العزيزة المرحومة صدقاً فليكون
التي سمعت أفكار هذا الكتاب
قبل وفاتها .
إلى زوجي الوفية عزيزة .
إلى أولادي : طارق وزوجته رباب
والليث وزوجته أولغا
وباسل ومصون وربعا وزوجها الوي .
وإلى من أحب .

أهدي هذا الجهد التواضع

محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

« الأتعام »

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

« الروم »

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِعِينَ
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

« البقرة »

صَدَقَ اللَّهُ الْعَالِي الْعَظِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَّ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾

«القلم»

قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

«هود»

صِدْقُ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

شكر

إلى كل من ساهم في دفع هذا الكتاب إلى دائرة النور ، وإلى كل من شارك في التلقيق والمراجعة وتحقيق المراجع والتنضيد ، وحمل على عاتقه أعباء خطوات لا يهد منها لكل كتاب ، وإلى كل من زودني مشكوراً بأرائه وتوجيهاته ، وفي مقدمتهم الأستاذ حسين العودات لقراءته الكتاب مخطوطاً ، وللملاحظات القيمة التي أعطت الكتاب حلته هذه ، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم عني بما هو أهل له .

المؤلف

توطئة

دعني مجلة " مقدمات " المغربية إلى محاضرة
في ندوة أقامتها المجلة بتاريخ ٧/١٢/١٩٩٥ في
الدار البيضاء، تحت عنوان " الثقافة والأخلاق
والديموقراطية في ضوء الحداثة ".
واحتزت أن أجعل من محاضرتي تلك توطئة
وممهيدا، وجزءا من القسم الأول لكتابي هذا.

يعتبر هذا الموضوع من أعقد وأهم ما يطرح الآن على الساحة العالمية والعربية،
وبخاصة بعد التحولات التي شهدتها القرن العشرين في ثمانيناته وتسعيناته، وأدت إلى
خلل كبير في موازين القوى العالمية، وإلى خلل أكبر في الطروحات الثقافية والسياسية،
وعلى رأسها الأخلاق والديموقراطية، من حيث ارتباطها بالثقافات من جهة، وبالحدائثة
من جهة أخرى.

ماهية الثقافة .. وماهي الأخلاق .. وماهي الديموقراطية ؟ وما المقصود بتحديث
الثقافة والأخلاق ؟ وهل ثمة ثقافة تراثية وأخلاق تراثية لم تعد تعمل وتجسدي في عصرنا
هذا، والمطلوب تحديثها ؟ .. وكيف ؟ .. وهل المقصود بتحديث الثقافة إعادة صياغتها؟
أم نبذ الموروث وبناء ثقافة حديثة على هذا النهج أو ذاك؟ وإذا جاز هذا في عصر من
العصور، عند أمة من الأمم، فهل يجوز اليوم؟ وعند الأمة العربية ؟

لعلنا في سطورنا هذه، لن ندعي الاجابة على هذه الأسئلة كلها، ولن نعود إلى ترداد التعاريف التنظيرية، التي اعتاد كل من يكتب في الثقافة والأخلاق والديموقراطية أن يكررها، فربط الثقافة والأخلاق بالديموقراطية من جهة، وبالحدائث من جهة أخرى، يحتاج إلى إبداع واقعي، أكثر مما يحتاج إلى تنظير طوباوي، يجري خلف جمهورية أفلاطون، أو مدينة الفارابي الفاضلة.

قلنا إن خلافاً كبيراً حدث في القرن العشرين وتسعيناته خاصة، قاد كثيراً من المفكرين في مختلف أنحاء العالم، إلى إعادة النظر في العديد من المنطلقات السائدة، فأخذت شكل تيارات يمكن تصنيفها كما يلي :

- ١ - تيار يدعم سيطرة الثقافة الغربية بكل أبعادها، ويزعم أنها الثقافة النهائية التي يتمحور حولها سير التاريخ، وعلى رأس هذا التيار الكاتب الأمريكي "فوكو ياما" في كتابه "نهاية التاريخ".
- ٢ - تيار ماركسي ينقسم في اتجاهين:
 - أ - اتجاه يعتبر تجربة الاتحاد السوفياتي فاشلة لعدد من الأسباب، لكن الفكر الماركسي يبقى عنده فكراً جديراً بالاعتبار والتبني.
 - ب - اتجاه مثالي طوباوي، لم يستفد من تجربة الاتحاد السوفياتي، يعتبر أن ما حصل ليس أكثر من مؤامرة امبريالية أمريكية صهيونية نجحت، وأن الطروحات اللينينية صحيحة، صحة تكاد تكون مطلقة.
- ٣ - تيار سلفي ديني، ليس مقتصرأ على عالمنا العربي والاسلامي كما يحلو للبعض أن يتصور ويصور، بل هو عالمي شامل أيضاً (السيخ في الهند، والأصولية الأرثوذكسية في روسيا..)(١).

(١) انظر كتاب (يوم الله - الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث) لمؤلفه جميل كميل، طبعة ١٩٩٢ دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث.

وما يهمننا هنا بالذات، هو هذا التيار في الوطن العربي حصراً، وما هو المطلوب منا تجاه الأحداث العالمية، التي تؤثر فينا سلباً أو إيجاباً، وأين هو موقع الحداثة في الوطن العربي، وبخاصة حين ينظر الكثيرون إلى مشروع الحداثة نظرتهم إلى مشروع خان وعوده !!

فإذا ما نظرنا إلى ما طرحته هذه التيارات في الوطن العربي من مشاريع حداثة، نجد أنه ينقسم إلى قسمين :

١ - قسم مجدد بزعامة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ، حاول دفع الاسلام إلى ما اعتقد أنه مواكبة للوضع الحضاري العالمي السائد آنذاك ، لكنه انطلق من مسلمات وردت في التراث الديني، وتم ترسيخها كشكل وحيد مطلق من أشكال فهم الأصليين العظميين في الاسلام : التنزيل و السيرة النبوية الشريفة.

٢ - قسم طرح الحداثة والتجديد تحت شعارات قومية وماركسية، واستعار منطلقاته من ثقافات شعوب قائمة بأنظمتها، بغض النظر عن بنيتها الثقافية والاقتصادية والسياسية.

ونشم بوضوح روائح الاستبداد تعبق في طروحات القسمين سواء بسواء، فكل منهما يزعم أنه يملك الحقيقة المطلقة، لاجمال لديه للحوار، ولامكان عنده للرأي الآخر. الثورة عند كليهما جاءت لتقضي على الآخر وليس للاعتراف به، وجاءت لتستبدل مستبداً بمستبد آخر، وبخاصة بعد أن تم القضاء، بالكامل، على الليبرالية البورجوازية الوطنية، التي نشأت مع بدايات القرن العشرين، حيث حل محلها بورجوازية ريعية غير وطنية في بعض الأقطار العربية .

لقد استبعد أصحاب القسم الثاني الدين من مشروعات الحداثة باعتباره تراثاً رجعياً، يعرقل بل ويناقض مسيرة التحديث. لكنهم لم ينتبهوا إلى أنهم باستبعاد الدين،

استبعدوا الأخلاق. وغفلوا عن أن القانون الأخلاقي جزء لا يتجزأ من الدين، وأن الأخلاق قوانين كونية لاعلاقة لها بعرب أو عجم.

والتقى أصحاب القسم الأول مع أصحاب القسم الثاني، بالمحصلة، في استبعاد الأخلاق من مشاريع التحديث والتحديث لديهم، بل مضوا إلى أكثر من ذلك، فاستبعدوا الاحسان والعمل الصالح من أركان الاسلام وأركان الايمان التي تم تأسيسها كما يلي:

أركان الاسلام : يبنى الاسلام عند أصحاب التيار السلفي، على خمس :

- ١ - شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.
- ٢ - إقامة الصلاة.
- ٣ - إيتاء الزكاة.
- ٤ - صوم رمضان.
- ٥ - حج البيت من استطاع إليه سبيلا. (وقد يتقدم الحج على الصوم في كتب أو يتأخر عنه في كتب أخرى.)

أركان الايمان : ويبنى الايمان عندهم على خمس :

- ١ - الايمان بالله.
- ٢ - وملائكته.
- ٣ - وكتبه ورسوله.
- ٤ - واليوم الآخر.
- ٥ - والقضاء والقدر بحيره وشره.

وإذا كنا لانعجب من عمل أصحاب القسم الثاني، ولانستنكره، ونرى طبيعياً أن يدعوا إلى فصل الدين عن الدولة بل وعن الحياة ، وأن يروا في الدين أفيوناً ، وتراثاً متخلفاً يستوجب الخنجل منه، طالما أنهم ينطلقون في مشروعات التحديث من خارج

الثقافة العربية الاسلامية، ويفترضون أن العربي المسلم إنسان بلا ثقافة ولا أرضية، وعليه أن يقبل ما يقدم له مباشرة، وإلا فهو رجعي أصولي متخلف، ومتدين متشنج حاقد.

نقول إذا كنا لانعجب أو نستنكر فعل هؤلاء ، ونحن نرى ونعي منطلقهم وأرضيتهم، فنحن نعجب ونستنكر مافعله أصحاب القسم الأول ، باسم الدين وباسم التنزيل الحكيم وباسم السيرة النبوية، التي يزعمون أنهم ملكوا الحقيقة المطلقة فيها فهماً وتطبيقاً.

لقد قامت الطروحات السلفية عند أصحاب القسم الأول، على الاختزالات التالية :

- اختزال التاريخ.

- اختزال الجغرافيا.

- اختزال سكان العالم.

- اختزال مشاكل سكان العالم وحلونها.

فما تم في شبه جزيرة العرب بالقرن السابع الميلادي هو الاسلام إلى أن تقوم الساعة. وعليه يقاس كل شيء حتى الأخلاق والأعراف.

وما تم تاريخياً في يثرب خلال عشر سنوات، ينسحب على كل قارات الكرة الأرضية من القطب إلى القطب.

والبشر منذ أن بعث الرسول (ص) إلى أن تقوم الساعة هم سكان شبه جزيرة العرب في فترة البعثة النبوية.

ومشاكل البشر الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية هي ذاتها مشاكل أهل شبه جزيرة العرب في فترة البعثة النبوية ، والحل في هذه هو ذات الحل في تلك، باعتباره الحل الشرعي الاسلامي الأوحده.